تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه ا D وأمر به نكل عنه كثير من الناس كقوله تبارك وتعالى : { ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية ا أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا } وقال D ههنا : { ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة } أي مشتملة على حكم القتال ولهذا قال : { فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت } أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء ثم قال مشجعا لهم { فأولى لهم * طاعة وقول معروف } أي وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا أي في الحالة الراهنة { فإذا عزم الأمر } أي جد الحال وحضر القتال { فلو صدقوا ا } أي خلصوا له النية { لكان خيرا لهم } .

وقوله سبحانه وتعالى : { فهل عسيتم إن توليتم } أي عن الجهاد ونكلتم عنه { أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم } أي تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام ولهذا قال تعالى : { أولئك الذين لعنهم ا فأصمهم وأعمى أبصارهم } وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموما وعن قطع الأرحام خصوصا بل وقد أمر ا تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم من طرق عديدة ووجوه كثيرة قال البخاري : حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان حدثني معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة Bه عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : [خلق ا تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن D فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى قال : فذاك لك] قال أبو هريرة Bه : اقرءوا إن شئتم { فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم } ثم رواه البخاري من طريقين آخرين عن معاوية بن أبي مزرد به قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [اقرءوا إن شئتم { فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم }] ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبي مزرد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه عن أبي بكر Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ما من ذنب أحرى أن يعجل ا تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الاخرة من البغي وقطيعة الرحم] ورواه أبو

داود والترمذي وابن ماجه من حديث إسماعيل هو ابن علية به وقال الترمذي : هذا حديث صحيح وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المرئي حدثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان Bه رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [من سره النسأ في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه] تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيح وقال أحمد أيضا : حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حجاج بن أرطأة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : جاء رجل إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال يا رسول ا إن لي ذوي أرحام أصل ويقطعون وأعفو ويظلمون وأحسن ويسيئون أفأكافئهم ؟ قال صلى ا عليه وسلّم : [لا إذن تتركون جميعا ولكن جد بالفضل وصلهم فإنه لن يزال معك ظهير من ا D ما كنت على ذلك] تفرد به أحمد من هذا الوجه وله شاهد من وجه آخر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعلى حدثنا فطر عن مجاهد عن عبد ا بن عمرو Bهما قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها] رواه البخاري وقال أحمد : حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا قتادة عن أبي ثمامة الثقفي عن عبد ا بن عمرو Bهما قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [توضع الرحم يوم القيامة لها حجنة كحجنة المغزل تكلم بلسان طلق ذلق فتقطع من قطعها وتصل من وصلها] وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن أبي قابوس عن عبد ا بن عمرو Bهما يبلغ به النبي صلى ا عليه وسلّم قال : [الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء والرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها بتته] وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به وهذا هو الذي يروى بتسلسل الأولية وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن إبراهيم بن عبد ا بن قارظ أن أباه حدثه أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف Bه وهو مريض فقال له عبد الرحمن Bه وصلت رحمك إن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [قال ا D : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمها من اسمي فمن يصلها أصله ومن يقطعها أقطعه فأبته ـ أو قال ـ من بتها أبته] تفرد به أحمد من هذا الوجه ورواه أحمد أيضا من حديث الزهري عن أبي سلمة عن الرداد ـ أو أبي الرداد ـ عن عبد الرحمن بن عوف به ورواه أبو داود والترمذي من رواية أبي سلمة عن أبيه والأحاديث في هذا كثيرة جدا .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عيسى بن يونس عن الحجاج بن الفرافصة عن أبي عمر البصري عن سليمان قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف] وبه قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسنة وتباغضت

القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم ا وأصمهم وأعمى أبصارهم] والأحاديث في هذا كثيرة وا أعلم